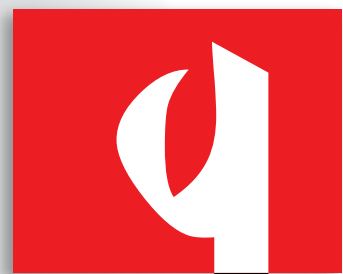


عبد الملك نوري

20 عاماً على الرحيل



من زمن التوهج
بدرافق
يون



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى ليع

العدد (4236) السنة الخامسة عشرة -

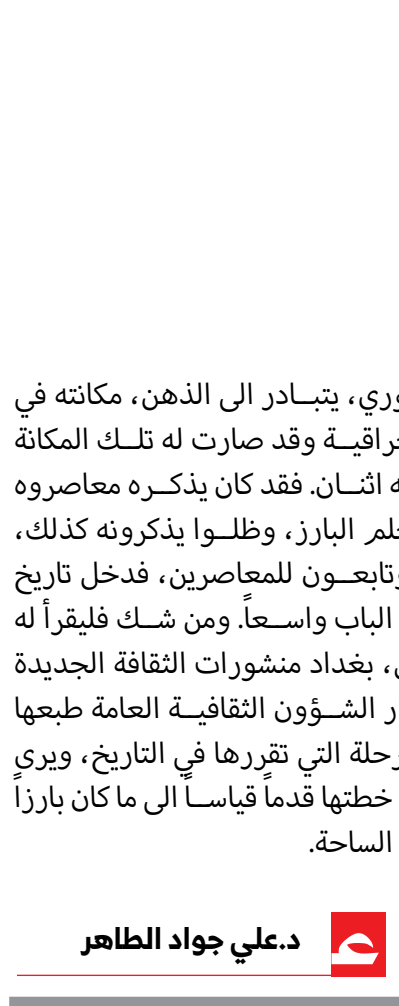
الخميس (19) تموز 2018

WWW.almadasupplements.com

4

عبد الملك نوري وقصة
الخمسينيات





عبد الملك نوري وريادة القصة العراقية

تقرؤها فتلتمس الرعاية الفنية، والجدة فيما حازه وتدرجاً من جديد القصة العالمية روسيها وامريكيبها وانكليزها وفرنسيها مما كان في قاعيتها من فكر ومما داخل نسيجها من مستجدات علم النفس والفلسفة، وقد غدت هذه المستجدات جو القصة بمخزون العقل الباطن ومرود تيار الوعي، فإذا القصة العراقية معه (ومع صديقه فؤاد التكرلي) ليست في النسق الذي عليه الصورة المألوفة للواقعية الانتقادية، وليست في النسق التقليدي الذي سارت عليه مصر، وليست محلية وإنما هي محلية إنسانية لك أن تقدمها للعالم من دون أن تكون هي قصصكم لكم وحدكم فهي بضاعتكم ردت إليكم، من دون أن يقول: بضاعتنا ردت إلينا، فهو إذ يراها على احداث الأساليب، يرى أن هذه الأساليب لم تفسر اقتساراً، وانها لم تبق متباعدة عن مضمونها في الفلاح والعالم والمنطق من الآلام والأمال.

ولم يأت ذلك عفواً أو بين عشية وضحاها، وإنما هو ثمرة تدريب وتجريب وتطور، ووعي للذات ومتابعة لمسيرة العالم، وطموح الى الأحسن والأجدر ولاتمييز المشروع... والتضحية، والبحث المخلص عن لغة مناسبة لتجنب التوعر الاكاديمي وتترفع عن الضفضضة التي يراها أهلها شعاعية وتناى عن الركة التي يحسبها اهله شعبية. ومع اللغة بناء عام مناسب يتقدم على البناء المنطقي السائد والنهج القرييري بما يقتضيه المنطق النفسي.

وتسأل عن التضحية؟ وماذا؟ ويأتيك الجواب إن من نشأ نشأة عبد الملك بن عبد الطيف بك نوري في رتبة اجتماعية أولى أن يعد مترفة. ألم يختر كلية الحقوق؟ ألم يكن ميسور الحال؟ ألم؟ والم؟ والبقية تاتي... والنيابة أقل مايمكن أن يحصل بعد المديرية العامة. ولكن فتى اسمه

عبد الملك لم يرد المجد عن هذا الطريق السهل بل إنه تبنى مخلصاً عن رداية ودراسة ورضا الجانب الوطني الشعبي المناهض للسياسة القائمة آنذاك. وما هذا بالطريق السهل وعبد الملك يعرف ذلك. ولا يأس ما يتأله. وناله، فيه من انى وعنت وملاحقة. وها هو ذا يتبنى الكثرة الوطنية الإصلاحية تأسلاً وقرءة ومصاحبة وضميراً... إضعافاً في نفسه الى عوامل الترف ونزواته و"مضمونات"، وإلا أخل بشرط أساس في أدب وطني يطمح اليه. ولم يكن عبد الملك على خطأ، فما كان الوطن ليعترف لامرئٍ بجسد، أي مجد ولاسيما أن يكون أديباً، سالم يكن ذلك المرء وطنياً، اصلاحياً، ثورياً، الى جانب الشعب ومع الكثرة الكاثرة من الجمهور الأوسع الخميم.

لم يكن على خطأ، ولكنه لم يختر الطريق ليكون الماجد برأي قومه فقط وإنما ليكون المناجد إزاء نفسه كذلك وقيل ذلك. لقد اختاره طوعاً وعن رضا ومعرفة. وهذه الكتب التي يقرؤها تزيه المعادن لمسيرة التاريخ، وها هو ذا يرى ما يعانينه الناس من ظلم، ويرى أنه لايد من أن يكون الانسان على الغاية من الغلظة أو الجشع أو صوت الضمير أو فساد الفكر ليتهاون في الحق ويستيهن بالسواد الأعظم... فيقف الى صف الرصيد المالي... والاستغفال والاستعمار...

لايد له من هذا الرأي والعمل على تشريه من أجل أدب يريده مؤثراً، ومن أجل قلب يستمتع اليه الناس حين يرون فيه أنفسهم. ومضى يكتب في هذا الضوء المقالة والقصة والنقد، ويحاول النشاط سراً وعلناً... أما المقالة فهي سياسية تحتويها فكرة يريد صاحبها ايصالها الى القراء بأقصر طريق، وأهم مافي ذلك الموضوع والواقعية المباشرة. وكتابتها

تيمور. وقد تابعهما العراق وانتفع بهما وكتب قصصاً عليها مسحة واضحة من الفن. وتقدم في ذلك خطوة أو خطوات. ولكن هذا الذي يقبل عليه عبد الملك نوري شيء آخر لايتخذ مظه من مصر وإنما هو من اختصاص عراقي كان يملاً ساحته حين طلع عبد الملك نوري القاص ذو النون أيوب، وكأنه مؤسس فريد، وحين يكون كذلك، يكون قد فتح الطريق بإزاء عبد الملك نوري. ولك أن تقول، على هذا، أن أقرب شيوخ عبد الملك نوري هو ذو النون أيوب. وكان ذو النون أيوب كاتباً مضموناً أكثر منه كاتب شكل وكان سياسياً، اجتماعياً أكثر منه أديب، والتقى مضمون "الفتى" بمضمون الشيخ مع فارق أن الشيخ أكثر تمكناً من الحدث والواقع وأكثر معاناة ومواجهة للسلطة.

وهكذا جاءت المجموعة الأولى لعبد الملك نوري: "رسل الإنسانية" (١٩٤٦) ولكن هذا لايدوم، ولا يطول، لأن في موارد ثقافة عبد الملك الجديدة، وفي مطامحه الفنية مايعت على التميز وهكذا كان واذا كانت "فطومة" (١٩٤٨) خطوة وسطاً، فأنها كانت عامل تشجيع وتوطيد ثقة؛ فما كان فوز قصة عراقية بالجائزة الأولى لمسابقة مجلة "الأديب" البيرونية بالأمر السهل الذي يمر دون انتشاء وتامل وتحفز فضلاً عما كانت تمثله "الأديب" من جديد على الساحة العربية مما لم تعرفه مصر، ولا يدركه ذو النون، وربما كان اصغاء "العراقي" الطالع اليه اكثر من اصغاء اللبثاني نفسه، فكيف اذا مزج هذا الجديد اللبثاني بالمضمون العراقي؟

ويعضي عبد الملك نوري ينمو، وينمي نفسه وفكراً وفناً بالقراءة والإعجاب بالتمسط الذي يقرؤه دون أن يبارحه مضمونه لدى التأمل والاقدم على الكتابة... وهكذا استقل وتميز فيما صارا يكتبه وينشره في الاديب البيرونية (بخاصة) لم تبق للقصص علاقة بقصص ذي النون أيوب فضلاً عن بعد العلاقة عن القصص المصرية أو من تأثر به أو تقدم في ضوئه.

إن عبد الملك الحقيقي، أقصد الفنان ذا الوعي بالفن والدهاء في الإدارة الذي بلغ مبلغ الريادة، يبدأ من هذه المرحلة، مستمراً في فكره الى جانب التسعب، باحثاً عن اخراج هذا الفكر مخرج الفن الذي يجعل صاحبه ادبياً انتقادي من الإحساس الوطني أو من وعي الفلسفة المادية والعامل الاقتصادي وصحيح مافيه لغو حين يخرج من القصد التعليمي. وحين تكتب مقالات نقدية لم يخرج عن هذا مع قلة ماكتب. شكلاً ومضموناً حتى حين اشترط حتى كان مآكان من شأن قاص كبير هو محمود

مهياة لأي مثقف سعى اليها من دون أن تشتترط فيه المهوبة الفنية وتطلب اليه الإبداع الادبي، إنه معلم فقط، وقلمه يجري فيما تجري عليه المقالة في العراق اجتماعية وسياسية. وربما نظر الى المبتدع من المقالة المصرية نظره الى مافيه لغو حين يخرج من القصد التعليمي. وحين تكتب مقالات نقدية لم يخرج عن هذا مع قلة ماكتب. شكلاً ومضموناً حتى حين اشترط حتى كان مآكان من شأن قاص كبير هو محمود

وكان يعمل على الأخذ بقدر، وبالحند الذي لايقف حاجزاً أو غالباً عليه. وللمرء أن يقرأ له ربيع الجنوب، أو العاملة والجرذي والربيع، أو "غثيان".

وبقيت قصة "العاملة والجرذي والربيع" وما زالت تلقى قبولا أكثر مما تلقاه القصص الأخرى. وتظل المثل على درجة بلغها الفن القصصي ضمن متطلباته الاجتماعي، وقد استطاع الكاتب أن يذيب الغرض الاجتماعي الإنساني من النقد الواقعي في اسلوب تيار الوعي على ما لا يدع مجالاً لقارئ في أن يرى في اسلوب تيار الوعي اجتلاباً غريباً مترقفاً يناقض منهج الواقعية الاشتراكية. وزاد في عوامل نجاح الكاتب في هذه القصة أنه، إنما تحدث فيها عن أمر وقع قريباً منه. واذا كان في الناقدين من رأى فتورا اجتماعياً في بعض قصص عبد الملك نوري لأنه ينظر الى المجتمع

كما قال. من وراء زجاج المقهى البرازيلي (المترف)، فإن هذا الناقد لا يجد. هننا، مجاله ويكفي أن يكون الحدث مما يقع في صميم بيئة الكاتب وعلمه ومن داخل المقهى البرازيلي. إن "العاملة والجرذي والربيع" تضرب مثلاً على عبد الملك نوري فكراً وبناء، وحيث يجب الاكتفاء بقصة واحدة.

ولم تكن "غثيان بعيدة عن البيئة والواقع، ولكن موضوعها محدود إذا قيس بموضوع العاملة والجرذي والربيع ولهذا قل الإستشهاد بها على الرغم من كونها أعلى فناً وأشد تماسكاً من جميع قصص القاص لقد ذاكرته، مرة، في أحسن ما كتب، فرأى جازماً: قصة العاملة والجرذي والربيع ورأيت جازماً غثيان ثم مضت شهور وقابله أديب يسأل عن احسن قصصه فكان جوابه غثيان.

إن العاملة والجرذي والربيع ١٩٥٢ تبقى في الأجيال كما هي اليوم لدى القراء ولدى الكتاب، ولكنني أرى لغثيان ١٩٥٣ ما لهذه من البقاء وزيادة.

إنه في عام ١٩٥٣ وهو في أوج عطائه القصصي وتأتي مجلة الثقافة الجديدة فينشر في العام نفسه قصة ويجمع المختار من قصصه بين ١٩٥١ و ١٩٥٣ ويزيد عليه قصة نشيد الأرض ليخرجه في منشورات الثقافة الجديدة كتاباً باسم نشيد الأرض مسجلاً درجة عالية لما وصل اليه فن القصة العراقية آنذاك وهي تؤلف بين الفكر الاقتصادي وتيار الوعي ولحات من الوجودية من حيث هي كائنة في الإنسان سياسة ومجتمعاً وليس من حيث العبت والتشاؤم والغثيان والمصادفة الختومة ولايد مثل هذا التآلف بين ما يبدو تناقضاً من تكوين خاص هو الذي كان عليه عبد الملك نوري. إلا أن عبد الملك نوري علم في القصة العراقية وليس بمقدور أي أحد التفاوض عن نشيد الأرض، وهو يدرس أو يؤرخ للقصة العراقية ويكفي ان نذكر المساحة التي خصها بها الدكتور عبد الإله احمد في كتابه الأدب القصصي في العراق بغداد ١٩٧٧.

وتسأل: لم غاب نشيد الأرض من كتابي في القصص العراقي المعاصر بيروت ١٩٦٧؟ وأجيب أن تصور كل شيء في الجواب إلا سوء الفن بالمجموعة وإلا فقد وافق صدور المجموعة ١٩٥٤ عودتي من فرنسا فقرأتها و اعجبت بها وكتبت عنها مطولاً أول مقال نقدي اكتبته وارسلت المقال المطول الى الأديب البيرونية ولكنه لم يشره قلت: قد يكون السبب طوله غير المألوف أو لعله مما أضاعه البريد ولايأس وغير اطل التفكير في الأمر ومضت سنوات و عدت الى نشيد الأرض، اقرأ واعجب واكتب من دون أن أتم الكتابة ومضت سنوات أخرى و عدت اقرأ واعجب واكتب وأجزل النشر شهوراً لأعيد الكتابة ولانتهي بذلك الى المقال. البحث الذي نشرته من مجلة الأقالم العدد العاشر من عام ١٩٨٦ أملاً أن أكون قد كفرت عن خطأ غير مقصود أسهم فيه البعد عن الوطن وطبيعة الكتاب الذي ضم مواد سبق نشرها وأمل. كذلك أن يأخذ نشيد الأرض مكانه من طبعة جديدة

مزيدة أعدها لكاتب في القصص العراقي المعاصر. الخمسينيات. اعيد طبع نشيد الأرض وقد مست الحاجة إليه وصار هو وما قبله وما إليه وما بعده من قصص ومقالات ومسرحيات وما لصاحبه من مكانة في تاريخ الأدب.. مادة صالحة معدة لطالب ماجستير يرى في نفسه القدرة على تسجيل الموضوع باسمه والقدرة على الوصول الى النتائج اللالفة لدى الدخول في عالم عبد الملك نوري. ولقراً نشيد الأرض.

«عن كتاب مقالات في النقد الأدبي للناقد الراحل علي جواد الطاهر الصادر عام ١٩٨٢.

عن كتاب القصة العراقية

في رحيل القاص العراقي الراحل عبد الملك نوري

مهدي عيسى الصقر



إن رحيل أي شخص عن هذه الدنيا حقيقية لاخالص منها يعرفها كل واحد منا في ذلك، فإن غياب إنسان عزيز يترك في النفس غصة، وفي القلب وجعاً. قبل سفري ببضعة أيام اتصلت بعبد الملك اساله في أحواله، قال إنه يشعر بالتعب عندما يمشي قليلاً، وإن هذه الحالة يملكها أحد أقاربه، في محلة الأعظمية ببغداد، فهو (لا يملك لا مال ولا عقار). وقف عبد الملك في أعلى السلم يحدثني في وجهي، ثم تسأل متوجساً عن كون الزائر. ادهشني سلوكه، ضحكت ونكرت له اسمي، ثم دفعت الباب، وصعدت إليه. انخني الى البيت وهو يتمتم معذراً أن عينيه تدمعان، لذلك فهو لا يستطيع أن يسه جيداً، وإنه سأل عن دواء لهما فقبل أن أتركه الى البيت الذي يريد له وجود له في الصيدليات. حين دخلت وجدت سرير نومه يتوسط الصالة. قال إن الصالة هي المكان الوحيد المبرد في كل أرجاء البيت. رأيت في أحد الأركان جهاز تبريد صغيراً من ذلك النوع الذي عليك أن تملأه بماء كل بضع ساعات، سألته عن صحته قال أحسن، وإن عينيه فقط تضايقانه. تحدثنا لبعض الوقت، ثم غادرته مطمئناً الى أنني سأراه حين أعود من السفر، فنحن نفترض دائماً الا شيء يتغير أثناء غيابنا. والأن تأتيني بضع كلمات من صديق ينقل لي نبأ وفاته فيتحول عبد الملك نوري، في لحظة واحدة، من إنسان حملته في ذاكرتي حياً الى محض ذكرى عزيزة. كان نوري هو الانموذج الذي كنا نحن الكتاب الشباب في أواخر الاربعينات والخمسينات ننظر إليه بانبهار. كانت أفصاحه القصيرة (جيف معطرة، فطومة، الرجل الصغير، وغيرها)، التي اعتمد فيها - لأول مرة في العراق، وربما في العالم العربي - اسلوب تيار الوعي، نمطاً جديداً لم تعرفه القصة القصيرة من قبل. كانت القصة في العراق، قبل عبد الملك لا تلتزم بأية شروط فنية،

تشبه المقالة، وتنتهي في العادة بحكمة أو فضيحة. وقد اطلق نوري على هذا النوع من القصة اسم (المقاصة) اي خليط من المقالة والقصة، فأثار بهذه التسمية غضب كتاب القصة التقليديين. إلا أن عبد الملك ما لبث أن توقف عن الكتابة، بعد انهيار حياته الزوجية، وانفصاله عن زوجته التي كان يحبها. ولم يتأثر نشاطه الأدبي فحسب، بل حتى عمله الوظيفي، كان موظفاً مرموقاً في السلك الخارجي. ترك العمل، واعتزل الناس، ولم يتزوج من جديد ظل يعيش هو واخته، التي لم تتزوج هي الأخرى، مثل ناسكين في صومعة وراحت أخته ترعاه كما لو كان طفلاً الوحيد، وكان هو يعتمد عليها في معظم شؤون حياته. وحين ارتحلت قبل عامين ظن اصداقاه أنه لن يعيش بعدها. إلا أنه تجاوز هذه المحنة باللجوء الى الكتابة مجدداً محاولاً العودة الى عالم القصة بعد فراق طويل. وابتدت الكتابة انها علاج فذ لمغالبية الأحران. وعندما دعتة قبل سفري كان جريان الدمع في عينيه قد عطله عن مواصلة الكتابة في قصة طويلة بدأها منذ زمن، ولا اظنه استطاع إكمالها قبل أن تدهمه المنيئة. انني افكر بالوقع المؤلم لنبا رحيله على صديق عمره، الروائي فؤاد التكرلي، والناقد عداد الكركلي، وعلى الكثيرين من الذين يحترمونه، ويقفرون له عمله الذي ترك أثره الملحوظ بشكل أو بآخر، في كتابات العديد من الاجيال من كتاب القصة القصيرة في العراق. إن ما يحز في النفس حقاً أن هذا الرجل الذي يظل.. حياً كان أم ميتاً.. من أبرز رموز الأدب العراقي الحديث، عاش حياة فقيرة في سنواته الأخيرة، يجتر أحزانه في صمته، ويحاول أن يتعايش مع واقع مر لا يرحم. فهل يوسعنا أن نقول - من أجل أن نعزي أنفسنا - أن هذه النهاية، جاءت الآن لتنتخبه الراحة، وتخلصه أخيراً من عذاب حياة عقيمة، شقية وبائسة؟

ملف مجلة الأقالم ١٩٨٨ ص

لم تعد القصة مشروعا لتفسير قضية خارجية، بل كانت تؤسس مشروعها على قدرة الشخصية على مواجهة ما يحيط بها. في حين أن القصة التي سبقت الخمسينيات كانت تفتح صفحاتها لتجدها موزعة بين مواقع عدة لا رابط بينها. من الملامح البارزة والجديدة للقصة، توسيع اختيارات الكتاب للطرائق الفنية. لقد اعتمد عبد الملك نوري أسلوباً حديثاً أطلق عليه بعدئذٍ التداعي. وأنا أميل إلى تسميته بفن الترابط. فجاءت قصصه جديدة في محتواها وأسلوبها، وليس كما أشار إليها الدكتور عبد الإله أحمد.



عبد الملك نوري وقصة الخمسينيات

ياسين النصير

لقد وضع عبد الملك الجديد في الفن لسان العامة والبسطاء والشخصيات الثانوية لإيمانه أنها صناعة التاريخ، وهي التي تعكس بصدق أكثر ما تعانیه وما تعنيه. مؤملاً من هذا التناول رسم صورة اجتماعية عريضة (للجماعة المغفورة) التي تمثلها شخصياته الثانوية. فابتعد عن طرائق الفن الشعبي الذي يميل إلى رصف حادثة إلى أخرى بطريقة تجميعية لرسم صورة المساة الاجتماعية العريضة.

كما استطاع عبد الملك بطريقته أن يلغى حيادية القارئ بربط المشاعر المستفزة داخل القصة بالقارئ. (إن بطرس) مثلاً في قصة (جيف معطرة) و(عبود) في قصة (عبود) و(الرجل الصغير) ليسوا إلا شرائح لتلك الجماعة الساكنة في القاع الأسفل من المجتمع. استطاعت أن تعطي لوقوعها الاجتماعي صوتاً كان من حصيلته أن ارتفعوا بمأساتهم إلى مصاف الموقف السياسي. من هنا جاء استخدام التداعي أو فن الترابط مكملاً لشخصيات تستكمل شروطها الحياتية بالعمل أمام القارئ وليس كما ذهب الدكتور عبد الإله من أن التداعي لا يصح الإتيان به على لسان الشخصيات الثانوية، لأن الدكتور الفاضل وضع عسفاً مقارن (جيف معطرة) بيوليس (٥) لجويس.

إن تنوع الطرق الفنية وتشعبها جعل الخمسينيات غنية وبوفرة دالة على اتساع المعرفة بالواقع وبالفن القصصي. ومن الملامح الأخرى لقصة الخمسينيات محاولتها لأن توازن بين فن النثر وفن الشعر، واستطاع عدد قليل من القصاصين أن يجمعوا بين الإثنين خاصة أولئك الذين أشبعوا حديثهم بالغنائية والذين حملوا أبطالهم بعض هوياتهم الشخصية. وبرز بشكل واضح في هذا المجال عبد الملك نوري، نزار عباس، جيان، محمد كامل عارف، وقد أعطت هذه الميزة لفن القصة ولقالبها سعة في المشاعر، وانطلاقاً لأفاق رحبة، إلا أنها أضرت بجانب آخر هو تحميلها الشخصية لغة لا طاقة لمكانتها الاجتماعية بها. وعلى جانب آخر من الموضوع نجد أن الشعر هنا تجسيد للشخصية الفردية الواعية التي نمت خلال الخمسينيات بين فئدة المثقفين. وتعلينا هذه النقطة دالة أكثر سعة، هي أن هذه الشخصيات

تنبت أول مرة جزءاً من عملية انفصال كبيرة بين شرايح البرجوازية في مرحلة الانهيار الواضح لجذورها الطبقيّة تمهيداً لأن تلتمح بالنوايا الاجتماعية الجديدة النامية في المجتمع. ولذلك نجد استخدام الشعر يعود إلى القصة في الستينيات لأن هذه المرحلة شهدت هي الأخرى عملية انهيار لقيم متناقضة طبقياً. في حين أن الشعر قل استعماله في أواسط السبعينيات بعد أن أخذ المجتمع طريقة اصطفاث ثوري حقيقي. ارتباط الشعر بفن النثر يعطينا دلالة أخرى، ربما لن تكون مهمة الآن وهي أن الشخصية لا تمتلك موقفاً صلباً إزاء أحداث الواقع، وتحسب أن الاستفادة من الفنون لن تقتصر على الشعر وحده، بل استفاد القاصون من المسرح خاصة في تجسيدهم للعنصر الدرامي في القصة، وهو أسلوب رافق موجة التجديد والإطلاع على عيون القصة الغربية. ويعكس العنصر الدرامي جانباً آخر من الموضوع هو احتواؤه على جانب من الصراع الاجتماعي - النفسي الذي برز يوم ذاك، لقد مالت قصة الخمسينيات جزءاً من مهمتها إلى إبراز عناصر التضاد والتناقض خلال التشكيلات الأسرية والعمل والمغامرة الفردية، وكانت تترى في بؤس الواقع الاجتماعي يوماً عريضاً يخفي تحته العديد من الحالات الاجتماعية والذاتية. إلا أن طرحها للعنصر الدرامي هنا لا يجعلها متشابهة كما كانت فعله قصة الأربعينيات في تجاوز الأسود والأبيض، والخير والشر ضمن منطق التقابل الذي عملت به، بل إن العنصر الدرامي هنا تعبير عن الوجه العريض لصور التناقض في أرضية الواقع. لقد جسّد عبد الملك نوري أبعاد هذا العنصر من خلال استحضار الماضي والحاضر في ذهن أبطاله الشعبيين، بينما حصره فؤاد التكرلي في بؤس الشخصية الواحدة. في حين حوّل عبد الرزاق الشيخ علي، وغانم الدباغ، ومهدي عيسى الصقر، ومحمود الطاهر إلى موقف مباشر من الصراعات السياسية القائمة.

بعدها توقف الكاتب القصصي عن نشر أي قصة قصيرة عامي ١٩١١، ١٩١٢، مما يعني أنه لم يكن يجد حماساً ذاتياً كافياً للنشر، أو أن عقبات اجتماعية وصحفية كانت تحول دون إبراز هذا اللون من الأدب ودفعه إلى الظهور والانتشار كلون حديث من الكتابة، إذ نشتر محمد فائق الكيلاني قصة «رؤية أدبية»، في العدد الرابع من مجلة «لغة العرب»، عام ١٩١٣. لينقطع النشر مرة أخرى في السنوات ١٩١٤، ١٩١٨، حتى نشر عطا أمين قصته «كيف يرتقي العرب»، عام ١٩١٩، في مجلة دار السلام، ثم نشر قصتين بعد ذلك في عام ١٩٢٠، ونشر قصة واحدة في عام ١٩٢٢، وأخرى في عام ١٩٢٣، ليزداد عدد القصص المنشورة فيصحب أربع قصص في عام ١٩٢٥، وسبع قصص في عام ١٩٢٧، ثم ينخفض إلى ٥ عام ١٩٤٣، ولم يتخذ مسار القصة القصيرة في العراق نسخة في الاستمرار إلا عام ١٩٤٧، حيث بلغ عدد القصص المنشورة ٢٦ قصة، لتزداد كمية النشر بعد هذا وصولاً إلى ٧٨ قصة عام ١٩٥٤، ثم ٧١ قصة عام ١٩٥٧، ثم تنخفض كمية النشر بعد هذا بحيث تغدو ٢٩ قصة عام ١٩٦٠، وسبع قصص عام ١٩٦٣، وقصة واحدة عام ١٩٦٤، ثم يرتفع العدد المنشور بعد هذا في نسق متصاعد تجاوز المئات في عقدي السبعينيات والثمانينيات، بحيث غدت القصة القصيرة ظاهرة واضحة المعالم لها تياراتها الفنية ومناهجها السردية المتعددة.

أما بالنسبة للأسباب التي كانت وراء عدم إقبال القاص على نشر نتاجه، خصوصاً في العقود الأولى من القرن العشرين فكانت تتمثل في وجود هيمنة كاملة أدبية واجتماعية وسياسية لديوان الشعر العربي، ولقيمة الشاعر كمعبر حقيقي عن أحاسيس الناس، ولتطور فن المقالة السياسية الواضح التأثير على أيدي إبراهيم صالح شكر وفيهمي المدرس ومعروف الرضافي وعبد الحسين الأزري وغيرهم، ولوجود تأثير كبير للمقالة الأدبية الخالصة، وإقبال القارئ على المترجم من الأدب الروائي والقصصي.

«وماذا عن الجانب الفني في هذه القصص؟ القصة القصيرة كفن خلال سنوات التأسيس، التي استمرت أكثر من عقدين، ظل فيها السرد القصصي أقرب إلى الأدب المحكي، معتمداً المفارقة الحديثة أو الوصف الفوتوغرافي. فأعمال محمود أحمد السيد وعبد الحميد لطفي

عبد الملك نوري وجيل التأسيس في القصة العراقية

في زمن هيمنة الشعر في العراق، يمكن القول إن القصة القصيرة نمت بشكل خجول ومتردد منذ بداية القرن الماضي. يعد شهر (تشرين الثاني) ١٩١٠ شهر الميلاد الأول للقصة العراقية القصيرة. وإن مصادرنا الأكيدة حتى الآن تقول العدد الأول من مجلته «خردلة العلوم» الصادر في (تشرين الأول) عام ١٩١٠، وأنه نشر في العدد الثاني من المجلة ذاتها، الذي صدر في (كانون الأول) من العام نفسه قصة «الأوهام» لبوسف رزق الله غنيمه.

باسم عبد الحميد حمودي

هو الفصيل في الكتابة القصصية الجديدة الخارجة عن ظروف الحكي السرد العادي وجو الشخصية المسطحة ذات الحواف المستقيمة «ردى، جيد، بيدن، أسمر، ثري، فقير... تلك التي كانت لعبة القصة العراقية القصيرة لسنوات طويلة قبل أن تتدخل أقلام مهدي عيسى الصقر ومحمد روزنامجي وقبلهما يوسف متى، لتكتب قصة حديثة تعتنى لأهمية البناء الداخلي للقصة، وعدم تسطيح الشخصية، وترك تلك الاستطرادات المخلة بالسرد التي تحول القصة إلى حكاية عادية، مع اعتناء كامل بالذروة والتبشير ووجهة النظر، وصولاً إلى الخاتمة الفنية التي قد تكون مفتوحة أو تنتهي بحدث ما.



عبد الملك نوري.. مسرحياً



و

يحتل اسم عبد الملك نوري مكانة مرموقة بين رواد القصة الفنية في العراق منذ الاربعينيات ولقد تركت مجموعته القصصية "تشيد الأرض" أثراً عميقاً في نفوس قرّاء القصة في عقد الخمسينيات، وأثارت منذ صدورها آنذاك وما تزال تثير اهتمام مؤرخي القصة العراقية.

يقابله غياب اسم عبد الملك نوري في الوسط المسرحي العراقي وفي الدراسات التي اظهرت اهتماما عارضاً أو استثنائياً بالنشاط المسرحي على مستوى التأليف أو التمثيل.

د. جميل نصيف التكريتي

ليس من الصواب البحث عن تفسيرات تبسيطية وسهلة كان نعزو ذلك الى ضلّالة حجم الأعمال المسرحية التي ألفها عبد الملك نوري بالمقارنة مع حجم اهتمامه بالقصة، إن الخبرة المستمدة من تاريخ الأدب العالمي تؤكد أن عملاً مسرحياً واحداً أو مجموعة قليلة من هذه الأعمال كافية إذا ما توفرت لها عوامل النجاح أن تؤمن لمؤلفها حظوراً مرموقاً في هذا الميدان يحضّر الذهن في هذه المناسبة غوغول الذي تعد مسرحيته المفتش مدرسة قائمة بذاتها تخرجت منها أجيال متعددة من مردي الفن المسرحي منذ ظهورها في منتصف ثلاثينيات القرن الماضي وإلى الآن هناك إلى جانب غوغول كل من بوشكين وتولستوي وتشخوف وغوركي الذين كان لكل منهم دوره الواضح ومكانته المرموقة في الحركة المسرحية مقارنة بما كتبوه من فنون أدبية أخرى يقابل ذلك أن عبد الملك نوري أظهر اهتمامه بالشكل الحواري في الابداع الأدبي في مرحلة مبكرة في حياته الفنية فقد تصدرت رسل الإنسانية وهي مسرحية قصيرة أو حوارية أولى مجاميع عبد الملك نوري القصصية وجعل من اسمها عنواناً لهذه المجموعة يقوم ذلك دليلاً على اهتمام عبد الملك نوري المبكر بالأدب المسرحي وهو ما يزال في بداية حياته الإبداعية بالإضافة إلى ذلك فقد كان بطل مأساة الفن وهي الفقرة الثانية في المجموعة القصصية المذكورة كاتباً مسرحياً اتخذ المؤلف وسيلة للتعبير عن آرائه حول الفن بعمامة وعن الصعوبات التي كانت تعترض طريقه وهو يكتب للمسرح.

لقد أثار المؤلف على لسان بطله اعترافات صريحة يعجز موهبته وادواته التعبيرية عن الإيفاء بمتطلبات الكتابة للمسرح ومع أن بطل القصة حاول أن يلقي تبعاً لهذا العجز على عاتق الحياة الاجتماعية التي جعلته مقيداً في انتاجه مغلول التفكير مغلول الخيال مما ينتقص من قدر عقريته بل يسجنها بين حدود ضيقة إلا أنه يعترف أن هذه الحياة الاجتماعية نفسها لم تحل بين عقريته وبين أن تجد هذا الانطلاق وذلك التفرغ في تلك المظومات النثرية الصغيرة التي كان ينشرها هنا وهناك في المجلات المحلية وفي منشورات الاقطار الشقيقة الأدبية، واضح أن المقصود بالمظومات النثرية الصغيرة تلك القصص القصيرة التي كانت وراء المجد الأدبي الذي تمتع به عبد الملك نوري منذ ذلك الحين.

يصف الرواية بطل قصة مأساة الفن بأنه قلق لايكاد يستقر في مكان يبحث عن الهوء والطمانينة والراحة فلا يجدها في الأمكنة التي يبحث عنها فيها حتى أن الكتب تبعته قد عراها الغبار بسبب الإهمال، لقد مل الشهرة بعد أن نالها وهو يندثر نفسه للفن يقصد فن الكتابة المسرحية ولكن أم من الفن أم منه، أنه يتطلب شروطاً كثيرة.

أجل إن الكتابة المسرحية تتطلب شروطاً كثيرة والتزاماً بأموار متعددة الاطراف اعترف بذلك كتاب المسرحية ومنظور الأدب المسرحي إن المزاجية والتزعة الفردية والضييق بالانضباط الذي تتطلبه الكتابة المسرحية وعدم الالتزام بالقواعد والضوابط النابعة من جوهر فن الكتابة المسرحية قاد عدداً كبيراً من الرومانتيكيين وعلى رأسهم الشاعر الرومانتيكي الكبير بايرون إلى كتابة أعمال درامية غير صالحة للتفصيل على خشبة المسرح وإن كانت من عيون الأدب العالمي وغرره.

إذن فقد أحسن الأديب عبد الملك نوري وهو ما يزال في بداية شوطه الإبداعي أن الكتابة للمسرح عملية شاقة وتتطلب من الموهب والمؤهلات والصبر ما يفوق كثيراً ما تتطلبه الكتابة في الميادين الأخرى للإبداع الأدبي شعراً وقصة تتضمن مأساة الفن مقطعاً فريداً في بابيه يصف الرواية فيه بطل القصة وهو كاتب مسرحي اسمه رمزي في واحدة من أزمات الإبداع التي كانت تمرق عقله ونفسه.

أراد أن يكمل حديثه مع نفسه فقاطعه خاطر مفاجئ ومض في ذهنه ومضاً خاطفاً وجعله ينقلب إلى المائدة الخشبية الوحيدة ثانية ويتناول من فوقها كراسه شاحبة الغلاف أخذ يقلب صفحاتها المسودة بالبحر حتى وقعت عيناه على الصحيفة التي يريدها فقرأ في أعلاها للمرة العاشرة: الفصل الرابع. المشهد الأخير وللمرة العاشرة أيضاً تناول القلم وجلس يفكر ولكنه ما لبث أن رماه والكراسة جانباً وأخذ يتمشى من جديد لقد مضت على الأستاذ رمزي ساعة وبعض الساعة وهو يحاول أن يكمل روايته المسرحية الجديدة، إلا أنه لم يوفق إلى شيء يسود به الصحائف الأخيرة من هذه الرواية.

لقد أحس بالجدب يسري في قريحته وبالخمول يطغى على تفكيره فلم يستغرب ذلك ولكنه تأفد.. وتأوه..

لقد كان إحساس بطل القصة عميقاً بأزمته الفنية ولقد عبر عن هذا الإحساس بناية عن المؤلف ويتخويل مباشر منه كذلك فكر بطل القصة بالبحث عن مخرج من هذه الأزمة، فأين يمكن في رأيه. الذي هو رأي المؤلف عبد الملك نوري نفسه. هذا المخرج؛ يخبرنا الرواية أن البطل (تتمنى لو كان في غير هذه البلاد، حيث لايقدر الشعب فنانيه حق قدرهم فلا يلفتت اليهم ولايعبرهم اهتماماً ولايشجعهم ولايسير سبيل الحياة أمامهم)، هل يعتقد الأستاذ عبد الملك نوري أن شكسبير أبدع رواثه بفضل التقدير الكبير من جانب الشعب والدولة؟ ألم يصل إلى عمله أن بلدية لندن كانت تلاحق الفرق المسرحية وتعاملها وكأنها فرق عجز؟

ويواصل الرواية مراقبة البطل ووصفه حالته الفكرية والنفسية

الحياة الواسع والرجب ليكون شاهداً موضوعياً قادراً على فضح أسرار هذه الحياة وخباياها، محتفظاً لنفسه بأرائه الشخصية واحكامه المباشرة، موقراً مقداراً واحداً من الحرية الممثلة جميع الشرائح الاجتماعية للإعراب عن نواياها وقيمها ونظرتها إلى العالم. فعاداً فعل بطل عبد الملك نوري؟ لقد كان صادقاً وهو يصف العالم من حوله بالكآبة وبأنه "يضيّق عليه شيئاً فشيئاً... ومن حقه أن يمقت هذا العالم أشد المقت، ولكن ماذا بعد ذلك؟ إن جواب بطل عبد الملك نوري عن هذا السؤال يشكّل نقطة الضعف القاتلة في نشاطه المسرحي. لقد هرب الأستاذ رمزي بطل قصة "مأساة الفن" من هذا العالم بدلاً من مواجهته وتحديه.

الغريب في الأمر أن عبد الملك نوري كان صائباً جداً وهو يتشخص على لسان بطله أهم العيوب التي يمكن أن تتعرض لها المسرحية، غير أن الأغرّب من ذلك أن عبد الملك لم يفعل شيئاً لتجنب هذه العيوب، بل أكدها وأصر عليها حينما عاد إلى الكتابة المسرحية بعد فترة انقطاع طويلة نسبياً كما سنرى. فما هي عيوب مسرحيات البطل. التي هي بالتأكيد عيوب مسرحيات المؤلف نفسه. كما يشخصها الرواية؟ يقول الرواية:

«كانت هذه الرواية آخر أربع روايات قدمها الأستاذ للمسرح. وكانت جميعها تمتاز بجو من التشاؤم، ينقل على النفس، وينفر الإنسان من الحياة، ويكرهها له...» وبعد أن لخص عدداً من العوائق والقيود الاجتماعية التي تتسلل تفكير الأديب وخياله وتكبّل عقريته يقول الرواية إنه "بالرغم من كل تلك القيود، وبالرغم من العنف الذي يلقاه الأستاذ عند التأليف، فقد استطاعت عقريته الوقادة أن تترك للجيل الحاضر، أو كما كان يعتقد (لأجيال المقبلة التي ستقدر فنه حق قدره، أعظم رواية عرفها الأدب العربي الحديث)...» ويصف الرواية هذه المسرحية بأنها "قليلة الحوادث، مفرقة في التحليل النفسي وخاصة في تحليل النفوس الشاذة التي لا تتلاءم والبيئة المحيطة بها. فبطلها شباب موسيقي موهوب، يصعد إلى أوج قمم المجد بفته ويصبح معلماً من فوق نار... ولكنه روح نبيلة، روح ملائكية رقيقة قدر لها أن تهبط في هذا العالم المملوء بالدنس والشورور، فتأخذ بالخبط وبالاضطرار بالثورة على العالم الفاني. أحب هذا الرجل.. أجل.. ومن كان مثله لا يستطيع العيش بغير حب. ولكنه كان في حبه خائباً محزوناً، إذ نهبت عيناً كل تلك السنين التي قضى في التقهيش عن مثله الأعلى بين النساء.

لأن من أحب كانت كغيرها من بنات جنسها، امرأة من لحم ودم، لا تقدر فيه عقريته، ولا تقدر فيه فنه، وإنما تقدر جسده فقط وتعبد لذتها فيه، فهي إذن تجهله.. تجهل نفسه.. وتجهل كل شؤونه الروحية وشؤون حبه العلوي.. فينبذها، إذ يجدها تؤثر تأثيراً سيئاً في إنتاجه الفني، وترسل العقم في مواهبه.

بهذه الطريقة تتداخل الصورة التي يقدمها الرواية عن بطل قصة "مأساة الفن" وهو كاتب مسرحي. مع صورة بطل واحدة من أهم مسرحياته الأخيرة لتكونا صورة واحدة تشكل ركناً أساسياً من سيرة المؤلف الذاتية. ويواصل الرواية. المؤلف تلخيص السيرة الذاتية لبطل المسرحية داخل القصة قائلاً: و ينقلب إلى فنه فتشغله

شواغله عنها حيناً من الزمن، ولكنه لا يلبث أن يجد نفسه فجأة وقد شغفه السقم وأمضه الحب وأجج في قلبه نيراناً جائعة، نيراناً تلتهمه على مر الأيام صبره، وتلتهم جلده، وتلتهم عزمه. فيعود إليها صاغراً، ويعود إليها ذليلاً مستغفراً ويعود إليها ليقضي عمره معها ولكن... تعود أيضاً إلى نفسه وساوسها، وتعود إلى قلبه الآمه، وتعود هذه المرة بعنف أشد، فيتركها ويترك الفن، ويصبح مخبولاً، مدمناً على المسكرات... هائماً على وجهه في الطرقات.. إلخ.

وهكذا يتضح أن عبد الملك نوري يشطر نفسه إلى رواية القصة، وبطلها الكاتب المسرحي، ويكلف البطل بكتابة مسرحية تعالج حالات الإحباط والفشل في حياة بطلها الفنان بدوره هو الآخر، هذه الحياة التي تنتهي نهاية مأساوية بهجر الفن والإدمان على المسكرات ثم الانتحار. وهكذا تتطابق السيرة الذاتية لبطل المسرحية داخل القصة في معظم تفاصيلها وأجواؤها مع حياة المؤلف عبد الملك نوري الذي وزع حلقات مهمة من سيرته الذاتية على عدد من قصصه ومعظم مسرحياته التي سيكتبها في فترة لاحقة.

وهكذا فقد أدخل عبد الملك نوري. الإنسان والمبدع. نفسه داخل هذه الدائرة الضيقة والمغلقة ونسي تقريباً ضجيج الحياة وصخبها واضطرابها في العالم الواسع من حوله. وبعد انقطاع عن الكتابة المسرحية دامت أكثر من ربع قرن، صدرت لعبد الملك نوري مسرحية "خشب ومخمل" عن دار الحرية للطباعة (١٩٧٢) وفي هذه الفترة أيضاً نشرت له مجلة الكلمة مسرحية "القانورات" وهي مسرحية قصيرة. ولديه دفتر مسودة يضم بين دفتيه ثمانين مسرحيات قصيرة كتبها المؤلف خلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام ١٩٧٢ نفسه. كان من حق المتتبع للأدب العراقي بعمامة وأب عبد الملك نوري بخاصة، أن يجد في المسرحيتين المنشورتين مؤخراً وفي المسرحيات المخطوطة التي كتبت في الفترة نفسها ما يدل على حدوث تحول في مستوى الإبداع المسرحي عند عبد الملك نوري، تبرر انقطاعه عنه مثل هذه الفترة الطويلة بالنسبة لحياة المبدع، وبعد ذلك التشخيص الصائب والدقيق لجوانب الضعف التي عانى منها إبداع المؤلف المسرحي.

سيكتشف من يقرأ مسرحيات عبد الملك نوري الأخيرة أن المؤلف مايزال حبيس عالمه الفردي. الشخصي الضيق، وإن بطله في معظم الحالات، أو قل أبطاله يمثلون مجموعة صور أخذت من زوايا ذاتية متنوعة لبطل واحد، وهذا البطل يذكرنا ببطل مسرحية الأستاذ رمزي بطل قصة "مأساة الفن". كان يمكن لمسرحية "خشب ومخمل" أن تبدو للوهلة الأولى استثناء من هذا الحكم العام. أما بطلها فهو شاه إيران السابق محمد رضا بهلوي الذي أخفاه المؤلف وراء قناع يحمل اسم الملك هيرام، وأما بطولتها النسائية فتتقاسمها كل من زوجة الشاه ثريا التي أخفاها المؤلف وراء اسم نسرين، وزوجة الشاه الأخيرة فرح ديب باسم وردة شاه، التي حلت محل الزوجة السابقة بسبب الملايسات المتعلقة بإنجاب ولي عهد يرث العرش.

ملف مجلة الاقلام 1٩٩٨



عراقليون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى ليرى

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق



الإخراج الفني: خالد خضير

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com



صديقي عبد الملك نوري

فؤاد التكرلي

في نهاية خريف سنة ١٩٤٩، حينما كنت موظفاً صغيراً مستجداً في محاكم بعقوبة المدينة، وصلتي برقية مدهشة صباح أحد أيام الخميس، لم تحتو إلا على كلمات قليلة؟

"سنجيء صباح الغد الجمعة.. وكانت موقّعة بتوقيع عبد الملك نوري. كنت قد التقيت به قبل أسبوع أو أكثر بقليل في مقهى "سويس" حين كنت امضي يومين أو ثلاثة في بغداد لقضاء بعض الحاجيات. كان اللقاء بواسطة صديقنا المشترك ساطع عبد الرزاق وبطلب من عبد الملك. امتد بيننا، حال التقينا. نوع من الألفة، والتفاهم الصافين.

كان عبد الملك آنذاك كاتب قصة معروف، فازت أقصوصته "فطومة" في السنة الماضية بجائزة مجلة "الأديب" البيروتية لأحسن أقصوصة عربية، وكنت شاباً صغيراً لم انشر شيئاً، إلا أنني كتبت بعض الأقاصيص التي لم اقتنع بها وأعطيتها. كما أتذكر. إلى صديقي نزار سليم للإطلاع عليها فأعطاهما بدوره إلى ساطع ليعيدها إلي فوصلت ليد عبد الملك فاطع عليها، ومن هناك كان طلبه من ساطع أن يلتقي بي.

× ولكن ماذا عن أدب عبد الملك نوري واتجاهه في فن كتابة القصة؟ مبدئياً كان عبد الملك شديد الإيمان بالواقعية وبوجوب استحياء محيطه العراقي، إلا أنه كان يضع الصناعة الفنية في الأدب القصصي وجودة

الكتاب فوق ما يمكن أن يسمى بالمضمون الاجتماعي ولكن ليس على حسابه. كان منحازاً إلى الأدب القصصي الغربي الجيد ضد أي ادعاءات أو مبادئ أخرى لا تنتج غير أدب رديء فنياً. وعلى هذا المستوى لم يساوم عبد الملك أحداً ولم يجامل، وكان حاداً في نقده، عصبياً، لا يطيق أن يسمع دفاعاً عن قصة يعتقد أنها سيئة. وفي اعتقادي أنه كان يعيش تناقضاً بين أفكاره عن الإنسانية والاشتراكية وبين الأدب الذي يجب أن ينتج لخدمتها والذي يرى أنه لا يمكن تقنيه بهذه السهولة. نشر عبد الملك مجموعته القصصية الأولى "رسل الإنسانية" سنة ١٩٤٦ تطبيقاً لنهجه الواقعي، ولكنه لم يرض عنها كما هو متوقع، فانقلب وأواخر الأربعينيات

يجرب . مع ارتباطه بالواقعية . أساليب أخرى للتعبير عن أفكاره القصصية. وهكذا كانت السياج الرمادي "ثم جيف معطرة" المنشورة في مجلة "الأديب" البيروتية في عدد شباط ١٩٤٩. كتبتها عبد الملك وأواخر سنة ١٠٤٨، وطبق فيها محاولة التعبير عن مجرى الشعور لدى شخصيات متعددة خلال فترة زمنية معلومة. نعم، إنها استعارة لما ابتكره "جويس"، إلا أن الملفت للنظر أن يحاول ذلك شاب عراقي وأن تكون المحاولة بعد قراءة "يوليسيس" وبعد تأمل وإمعان فكر. وجاءت الأقصوصة غريبة تبعث على الدهشة كثيراً؛ ففي ذلك الجو الأدبي، خلال الأربعينات، حين كان ذو النون أيوب ورفاقه منكبين على قرع طبول الأقاصيص "الاجتماعية" الساذجة، تبدو محاولة عبد الملك نوري هذه كأنها نيزك أضاء بشدة سماءنا السوداء. ولم يلتفت إليها أحد ولم يهتم عبد الملك بذلك وبدأت محاولات أخرى كان يريد لها هذه المرة أن تلتقط انفعالات "الوهلة الأولى".

× ماذا كان يبغى، تحقيقه، من كل تلك المحاولات؟

في اعتقادي، إن عبد الملك لم يكن مدعياً ولا كان يريد إدهاش القراء بكل ثمن، لكنه مدفوع بإعجابه الشديد بالأعمال القصصية العالمية. كان بوّده أن يسلك كل الطرق الممكنة التي قد تؤدي به إلى تخطي الأساليب القصصية المستهلكة، من أجل الإمساك بعد ذلك بهدفه الفني.

ويخيل إلي أن عبد الملك نوري لم يفشل قط، فلقد لاحق بطاقاته وعيه الفني إلى اللحظة الأخيرة ولم ينكص، ولا يزال لم ينكص، ويجدر بنا جميعاً أن نفهم معنى ذلك.



عن الاعمال الكاملة - ج٦ - المقالات

عراقيون

